****

**رواية (قواعد العشق الأربعون) في ميزان التصور الإسلامي**

**رحاب بنت محمد حسان**

**تمهيد:**

تبدأ الرواية وتنتهي في ظاهرها برسالة، مفادها المحبة، السلام، العفو، الأمل، الإصلاح الداخلي.... وغيرها من المعاني التي يفتقدها البعض في تلك الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة الإسلامية والتي اشتد فيها البلاء والإحن وتوالت النكسات في أعز من نملكه وما نملكه وفي مثل تلك المرحلة قد تلجأ القلوب المتعبة للفرار من الظلم والغدر والشحن ومن العقاب المجتمعي الذي لا ذنب لهم فيه...

تلجأ هذه الشريحة بصورة خاصة - شريحة الشباب - إلى البحث عن شيء يدلل مشاعرهم ويحيي عواطفهم ويسلي أحزانهم ويرفع عنهم كللهم وما يعانونه.

وهذه الرواية تتميز بعرضها لرؤية مختلفة وحلٍّ جديدٍ للهروب من ويلات المجتمع والسفر في بطون التاريخ إلى الفلسفة الباطنية بنسيمها البارد وسحرها الساكن ذاك التي يفتح عليك أبواب الرحمة بلا حدود ويوصد ألوان العذاب بلا قيود يغرقك في الكفر الحلو –على حد قولهم- والرمز الملغز والفكر المعجز والتقوقع في الذات يبهرك بمجاهيل وأباطيل تعجز عن مجادلتها إن لم تكن متخصص أو متيقظ.

كما أن بعض الشباب قد يجد ضالته في البحث عن التميز والتفرد إذا ما اتبع طريق الحقيقة الجديد الذي لم يكتشفه أحد قبلُ كما ترسمه القواعد الأربعين.

فالرواية تبني شخصية جديدة للإنسان المحبوب المرضي عنه من الله بعنصرية دينية تُعلي من شأن الولي والعالمِ بالعلوم الباطنية وتتبنى فكرة التمييز والاصطفاء على حسب مقامات تخص الفرقة الصوفية دون غيرها وكأنها الفرقة الناجية وهي ناجية بباطنيتها وتكهناتها واستغراقها في العشق الإلهي كما يدعون، لا باجتهادها وعملها وإخلاصها وطاعتها لله تعالى ورسوله.

فأنت أيها العاشق محبوب رغم ان أحدا لن يفهم شيء عن حبك

أنت مختار مصطفى بذاتك ولذاتك بكل ما تحمله من آثام وأوزار وتخلف عن ركب العاملين العابدين المقيمين لحدود الله المجاهدين في سبيله.

أنت كما أنت يمكنك أن تدخل جنة نعيم ودار مقيم بلا أي كلل ولا اجتهاد سوى حزمة من المشاعر الجياشة في عشق الإله والسكر والتماهي فيه.

والجهاد الحقيقي هو فقط جهاد نفسك ولا تنظر لإصلاح مجتمعك ولا جهاد الباطل حولك.

فالحقيقة إذا ليست في العمل ولا في اتباع الشرع بل الحقيقة ستجدها في الزهد والرمز والوهم والتماهي في العشق وأما تغيير واقعك وتحرير وطنك واصلاح أمتك وتحطيم كل شر لا يكون إلا من خلال داخلك فحسب وليس في خارجها.

هذه النظرة الصوفية التي نراها تعرض نصف الحقيقة فتعتمد على الترغيب دون الترهيب والنية دون العمل والعبودية لإله مطلق حال بالعالم، لا يُعرف بذاته ولا بصفاته لأنه –أصلا- في كل ذات، وابتداع دون اتباع للرسل، تتجسد بتفاصيلها وسردها في رواية قواعد العشق الأربعين وما تلبث أن تهدم حتى هذا النصف في قواعده التي لا أجد وصف لها سوى أنها -في الكثير منها- قواعد كفرية تجسد التيار الصوفي الباطني المتطرف الذي يؤمن بعقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ووحدة الأديان.

 كما يرى مركزية الكون ومعياريته في مكنون الذات الإنسانية، لا في الأحكام والشرائع الربانية المنزّلة.

 كما يتضح أيضًا التعدي جليا على الذات الإلهية ووصف الله تعالى بما لا يليق بكماله وجلاله.

 ويبدو التأثر بالفكر الباطني والفلسفات الشرقية واضحا جليا في الرواية كما سنوضح.

**عرض الرواية:**

تبدو الرواية في بدايتها وكأنها تخترق حدود المكان والزمان وتنساب منك حروفها في سلاسة الفكرة وروعة الأسلوب، عامل التشويق والإثارة والغموض يجعلك في انتظار القاعدة – من قواعد العشق الأربعين- تلو الأخرى وكأنك ستتعلم بالفعل شيئا جديدا أو ستحظى بمنزلة ودرجة حينما تحرز كل قاعدة.

ثم يأتي تداخل قصتين مختلفتين تماما في العامل الزمني

فالقصة الأولى الأصلية هي رواية جلال الدين الرومي من القرن السابع الهجري والذي يقع في عشق خليله شمس التبريزي في علاقة لم أكد أسمع عنها من قبل!!

 فالاثنان متحابان في الله لكنه حبًا غير واقعي؛ فالرومي لا يكاد يطيق فراق محبوبه شمس في أي لحظة ويفضله على الأهل والولد والنوم والصحة بل والشرع وكل شيء وينفذ تعاليمه الباطنية إلى الحد الذي يجعله يقع في العديد من المحرمات بحجة طاعة معلمه شمس وأنه يعلم ما لا يعلمه تلميذه الرومي ذاك العالم الفقيه.

**ثم تأتي القصة الثانية كنوع من الإسقاط والتطبيق على الواقع،** وهي رواية إيلا الأمريكية المعاصرة والمعذبة، التي لا تجد نفسها إلا في عالم التصوف ورغم غرابة الفكرة واستبعادها عن المجتمع الغربي إلا أن نفس الغرابة قد امدت الأحداث بمزيد من الإثارة والتشوق لمعرفة المزيد حول قصة إيلا الأمريكية التي تتحول فجأة إلى عاشقة متصوفة دون أن تدري، وقصة إيلا تتميز في بدايتها بالواقعية حيث تحكي مأساة قاعدة عريضة من نساء عصرها خاصة في مجتمعها بلا تكلف أو خيال لكن المؤلفة تنتهي بحل مشكلتها حلا مختلفًا وغير عملي حين تلجأ إيلا للتماهي مع محبوبها تحت غطاء العشق الإلهي والكفر الحلو متجاهلة زوجها وأسرتها الصغيرة.

وبالنهاية تندمج القصتان كشيء واحد متناسخ ليبزغ القديم حيا في أرواح المعاصرين وليعالج القديم الحديث في توافق وتناسق وكأن أسرار الباطنية هي الحل الوحيد لعقدة الرواية الحديثة...

**أبطال الرواية:**

من الحديث إلى القديم:

* **إيلا** امرأة أمريكية شقراء في الأربعين من عمرها تعمل كمحررة صحفية وأم ناجحة قد كرست حياتها لبيتها وزوجها وابنائها تتجاهل صفاقة زوجها الطبيب الذي يقيم علاقات غرامية مع مريضاته فتضطر إلى الكتمان والتجاهل لأنها لا تبحث عن المشاكل فتدفن عواطفها ومشاعرها وحبها الوئيد مع زوجها، لتمضي بصورة روتينية غير آبهة بمشاعرها المكسورة وجوانحها المجروحة.

وتستطيع بجدارة أن تقف على قدميها وتستعيد عافيتها - بعد هذا التجاهل - لتكون أسرة ناجحة إلى حد بعيد وتحافظ فيه على أبنائها وأسرتها في جو فاتر، ثم تحقق ذاتها من خلال العمل الوظيفي كمحررة في إحدى الوكالات الأدبية.

ومع ظهور رواية "الكفر الحلو" لكاتبها "عزيز" والتي كُلفت هي بكتابة تقرير عنها تتفتح لدى إيلا كل ما دفنته وحاولت تجاهله من مشاعر طوال سنواتها الماضية وبعد أن سُرق عمرها وشعرت أنها عاشت حياة مديدة كجسد بلا عاطفة تغذي مكنوناتها كامرأة وكأنثى.

فـ إيلا الأمريكية ذات الشعر الذهبي والعينان الزرقاوتان تستجيب للحب الإلهي وتجد نفسها وقلبها في الفكر الصوفي الشرقي تجد نفسها مع عزيز مؤلف الرواية وتتبادل الرسائل بينهما عبر البريد الإلكتروني.

فلقد تعلمت إيلا من الرواية أن الحب لا يتجزأ ولا يعرف الحواجز ولا الحدود، وفي الحقيقة الحب هنا لا يعرف المبادئ والوفاء والأخلاق، وكأن الخيانة ليست في قاموس المتصوفة فهو كما تقول الكاتبة على لسان الرومي في الرواية "إننا لسنا بحاجة للبحث عن الحب خارج أنفسنا بل كل ما علينا هو أن نتمكن من إزالة العقبات التي تبعدنا عن الحب في داخلنا."، وهي إشارة للحب الكلي المطلق والذي يستغله الفلاسفة للخلط بين الكلي والجزئي والمطلق والمعين لتمرير قواعدهم الباطنية كما يحلو لهم.

* **شمس الدين التبريزي** وهو درويش صوفي زاهد يقرأ الكف ويرى بنور العلم الباطني ذلك الذي لا يفقهه عموم البشر فهو وليّ مُصطفى يرى ما لا يراه الآخرون حتى أنه يكلم الله ويرتقي السماوات السبع. وفي أحد الأيام يرى رؤيا بأن الأمر الإلهي يأمره المغادرة لبغداد حتى يلاقي تلميذه النجيب جلال الدين الرومي وعاشقه الفريد العالم الفقيه-كما تقول الرواية-.
* **جلال الدين الرومي** شيخ عالم وفقيه - كما تصوره الرواية - ورغم ذلك فهو يؤثر طريق الزهد والتصوف على طريق العلم والشهرة والمال**.**

وتخط الكاتبة طريقين أو خيارين متعارضين للرومي يحمل كل طريق مجموعة من الصفات المتلازمة – في رأي الكاتبة- والتي تتناقض مع الطريق الآخر.

فثمة خيار للرومي العالم بالشريعة والحامل للفقه المرفه الأنيق المقرب للسلطان الوجيه المتعالي على مريديه.

أو خيار الرومي الزاهد المتقشف المغيب عن الواقع الذي يستمع لكلام معلمه شمس التبريزي وكأنه إلهه من دون الله فيشوه صورته أمام الخلق بارتكاب الكبائر كشرب الخمر والرقص تعبيرا عن الزهد في الناس ولكنه روميّا متواضع زاهد يكسر كل أمر شرعي ظاهر في مقابل اغترافه من العلم الإلهي الباطني والمحبة الصادقة تلك التي لا يفقهها علماء الشريعة!

* **كيميا** تلك التلميذة النابغة التي تركها أباها عند شيخها الرومي حتى تتعلم على يديه التصوف والزهد فتتزوج من شمس الذي يكبرها بسنوات طويلة إلا أنها عن رغبة منها تحبه ولكنه لا يريد هذا النوع من المحبة – السوية - بين زوج وزوجته ويتمنع عنها كزوج ليجعلها في حالة توق مستمر إلى حد أن تصاب بالحمى والموت.

 وكيميا ذاتها ترمز لحالة الفناء في الحب حيث تسعى لمحبة شمس إلى الحد الذي تموت فيه كمدا على فراقه وهجره لها.

أما شمس الدين الغير آبهة بها وكأنه يعلمها نوع من الفناء في العشق لا يرى إلا نوع واحد من الحب هو العشق الإلهي الذي يتجلى في حبه لخليله!

* **المتعصب**

 تستعرض الكاتبة الفكر الباطني بطريقة ذكية حين تعرض فكرتها بأسلوب استنكاري على لسان شخص سيء السمعة تسميه "المتعصب" والمتعصب شخصية تعارض المنهج الصوفي الباطني، وتبدو كما تصورها الكاتبة ذا عقلية سطحية مندفعة متطرفة لا يزن الأمور بالحلم والتؤدة بل بالتهور والقسوة والفظاظة ناقم وساخط على مجتمعه إلى الحد أنه يحاول تحصيل مكاسب ذاتية على حساب الآخرين.

ذاك الشاب الذي يمثل الفكر المتشدد الذي لا ينبغي أن يؤخذ به ويحاول المتعصب أن ينتقد بطريقة متعالية منفرة الفكر الباطني مستنكرًا إياه ما يجعلك تنفر من أسلوبه وتتعاطف مع مقصد الرواية بطريقة غير مباشرة.

-وهذه عادة نقاد التيار السني في إظهار أهل السنة على هذا النحو للتنفير من سلوكهم رغم أن هذا في الحقيقة ليس منهج أهل السنة والجماعة، كما أن الحق لا يعرف بالرجال-

فهذا المتعصب كما اختارت له هذا الاسم كاتبة الرواية وكما تقول عنه:

"رجل متشدد يعين بيبرس ابن أخيه في الحراسة بالواسطة يرى الدنيا بنظرة تشاؤميه ويرى ما حل من كوارث مثل الهجوم المغولي هو من عقاب الله على هذه البلاد ولو لم يكن هناك مغول لحلت كوارث طبيعية كالزلازل والفيضانات بسب الآثمين" الرواية- ص222

**شخصية جلال الدين الرومي في التاريخ:**

جلال الدين الرومي هو "شاعر فارسي توفي سنة 672هـ ودفن بقونية –وهو- صاحب الطريقة المولوية بتركيا.

ويتميز أصحاب هذه الطريقة بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وفي حلب وفي بعض أقطار المشرق.))الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1/ 259)، بتصرف.

**حقيقة معتقد الرومي وايمانه بوحدة الوجود:**

والرومي كشخصية تاريخية من الباطنيين الذين يؤمنون بوحدة الوجود وأن الله – تعالى عما يقولون- هو عين المخلوقات وهذه الفكرة الخبيثة قد نتج عنها الكثير من الآثار الكفرية كما ستضح من الرواية، يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نقلا عن شيخ الرومي التلمساني: "(وأما) صاحبه -أي صاحب التلمساني وهو- الصدر الرومي فإنه كان متفلسفا فهو أبعد عن الشريعة والإسلام ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول: كان شيخي القديم –يعني ابن عربي - متروحنا متفلسفاً والآخر فيلسوفاً متروحناً - يعني الصدر الرومي - فإنه كان قد أخذ عنه ولم يدرك ابن عربي في كتاب مفتاح غيب الجمع والوجود وغيره يقول إن الله تعالى هو الوجود المطلق والمعين كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين والجسم المطلق والجسم المعين؛ والمطلق لا يوجد إلا في الخارج مطلقا لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة.

 **فحقيقة قوله**: إنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات؛ ولهذا يقول هو وشيخه: إن الله تعالى لا يرى أصلا وأنه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة: عين وجوده - تعالى الله عما يقولون. (وأما) الفاجر التلمساني: فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر؛ فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي )) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (2/ 471)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، وانظر ايضا: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: 112).

ويضمه ابن تيمية لملاحدة المتصوفة قائلا: "وأما ملاحدة المتصوفة: كابن عربي الطائي، وصاحبه الصدر القونوي، وابن سبعين، وابن الفارض وأمثالهم، فقد يقولون: هو الوجود المطلق، كما قاله القونوي، وجعله هو الوجود من حيث هو هو، مع قطع النظر عن كونه واجباً وممكناً وواحداً وكثيراً، وهذا معنى قول ابن سبعين وأمثاله القائلين بالإحاطة." درء تعارض العقل والنقل (1/ 290)

وفي سؤال للدكتور لطف الله بن عبد العظيم خوجة عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى، يقول السائل:

 السلام عليكم، أرجو أن أعرف موقفكم من العالم الشاعر: جلال الدين الرومي، الناس هنا في بريطانيا يقرؤون كتبه المترجمة، لكنني سمعت عنه خيرًا وغير ذلك مما سبب لي حيرة فيه، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

جلال الدين الرومي من أئمة التصوف المتأخرين، وهو من الغلاة، وله المثنوي، كتب شعرًا بالفارسية، تضمن كثيرًا من الأفكار الصوفية الغالية، مثل الحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود، وكذا وحدة الأديان. من كلامه: (مسلم أنا، لكني نصراني، وبرهمي، وزرادشتي). وقد جمع أخباره وأفكاره، وأقواله المؤلف التركي المعاصر: محمد القونوي، في كتاب حمل عنوان: (أخبار جلال الدين الرومي)، ذكر فيه عنه مستبشعات من الأقوال والأفعال والأفكار فليراجع. والله أعلم.

 فتاوى واستشارات الإسلام اليوم (14/ 31، بترقيم الشاملة آليا)

جلال الدين الرومي

المجيب د. لطف الله بن عبد العظيم خوجه

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

التصنيف الفهرسة/ السيرة والتاريخ والتراجم/التراجم والسير

التاريخ 14/11/1425هـ

ويقول عنه الأستاذ عبد الوهاب المسيري رحمه الله:

"ومما له دلالته: أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصوفية، ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب: مؤلفات "محيي الدين بن عربي"، وأشعار "جلال الدين الرومي".

وقد أوصت لجنة " الكونغرس " الخاصة بالحريات الدينية: بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية؛ فالزهد في الدنيا، والانصراف عنها، وعن عالم السياسة: يضعف - ولا شك - صلابة مقاومة الاستعمار الغربي، ومِن ثَمَّ فعداء الغرب للإسلام ليس عداء في المطلق، وإنما هو عداء للإسلام المقاوم، ولأي شكل من أشكال المقاومة، تتصدى لمحاولة الغرب تحويل العالم إلى مادة استعمالية" انتهى.

من مقاله " الإسلام والغرب ".موقع الإسلام سؤال وجواب (1/ 6، بترقيم الشاملة آليا)

ويرى إحسان إلهي ظهير رحمه الله أن هؤلاء الحلوليين قد تأثروا بالفلسفة الشرقية وهي بلا شك عقيدة فاسدة كفرية فيقول: "وأما قضية وحدة الوجود والحلول والاتحاد, المقائد التي نادى بها الحلاج وابن عربي وجلال الدين الرومي وغيرهم ممن سلك مسلكهم, ونهج منهجهم. فلم يشك أحد في كونها مأخوذة مقتبسة بتمامها من (فيدانتا) الهندية.

ومن قرأ آراء شري شنكر أجاريا في فلسفة (فدانتا) عرف جيدا أنها عين ما قاله الحلوليون والاتحاديون وأصحاب وحدة الوجود, وأن ما بيّنه شنكر وفصّل القول فيه في شرح فلسفة وحدة الوجود أو فيدنتا هي التي توجد في كتب الوجوديون بكلياتها وجزئياتها.

وأكثر من ذلك تعرض تعاليم شنكر أجاريا وتقرأ مكتوباته على من قرأ كتب ابن عربي , وشارحه ابن الفارض, ومفسره في العجم جلال الدين الرومي, لم يستطع التفريق في مقولاتهم ومكتوباتهم , وحتى الأسلوب والمنهج والتعبير وبيان الطرق الموصلة إلى حصول المعرفة والإدراك." إحسان ظهير، التصوف - المنشأ والمصادر (ص: 114( وانظر أيضا نفس الكتاب ص122

**نبذة عن الفكر الباطني**:

وقبل أن نبدأ في نقد الرواية ينبغي ان نسوق نبذة مختصرة عن الفكر الباطني حتى نفهم العديد من فلسفات الرواية.

 قسَّم (المتصوفة الباطنية) الشريعة الى علوم الظاهر والباطن وجعلوا علوم الظاهر بلا قيمة حقيقية وخصوا علوم الباطن بالأولياء والأنبياء وهذا التقسيم لم يرد في كتاب ولا سنة وكل ما ورد عن هؤلاء ليست سوى تأويلات فاسدة ففي هذا التقسيم تضييع للشريعة وتفضيل بعض خلق الله على بعض تفضيلا عنصريا ما أنزل الله به من سلطان وهو يختلف عن الاصطفاء كليا فالاصطفاء يأتي من رب الناس لا يحدده بشر ولا راهب ولا وليّ.

لذا قبل أن نبدأ في أهم عناصر نقد الرواية ينبغي أن نورد نبذة عن الفكر الباطني

* تعريفهم وأقسامهم: تنسب فرقة الباطنية القرمطية "نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط، وهو رجل من الباطنية، الذين يعتبرون الإسلام والقرآن له ظاهرٌ وباطن.

...و يقولون: إن الظاهر يقابله الباطن."

شرح القواعد السبع من التدمرية (7/ 8، بترقيم الشاملة آليا)

"-ويقولون- (لا بدّ لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواسّ عليه، وباطنه يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه، وكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما نزلت عليّ آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع))

...وقالوا: إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة"

موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (7/ 418، بترقيم الشاملة آليا)

  "وقد أخذ المتصوفة -الباطنية -بدورهم أفكار الشيعة ومعتقداتهم، فآمنوا بها واعتقدوها، وجعلوها من الأصول والقواعد لعصابتهم.... ومن أقوالهم أن: العلوم ثلاثة: ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، كما أن الإنسان له ظاهر، وباطن، وباطن الباطن. فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن

... وقد قال الله عز وجل: {ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم}: فالمستنبط – عندهم - هو العلم الباطن، وهو علم أهل التصوف، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك... فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن.

وذكر المتصوفة نفس تلك الرواية التي نقلها الشيعة والإسماعيلية، وهي: (لكل آية ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع."

موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (7/ 419، بترقيم الشاملة آليا)

* **من أئمتهم:**

 "ومن أئمة باطنية الصوفية ـ ابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني وابن الفارض والسهروردي وأمثال هؤلاء، وأما باطنية الشيعة، فجمهورهم من الإسماعيلية، كـ ابن سينا وأمثاله". شرح الطحاوية - يوسف الغفيص (29/ 7، بترقيم الشاملة آليا)

ومن المعلوم ان الرومي هو تلميذ ابن عربي كما تقدم.

تفسيرهم للقرآن بالرمز والإشارة:

 "والباطنية لا يفسرون القرآن تفسيراً لغوياً، بمعنى أنهم لا يقولون: إن لغة العرب تدل على ظاهر وتدل على باطن، وإنما الباطن عندهم لغة إشارية تُكشف -فقط- للرجل الباطني الذي قد وصل إلى سقف الباطنية، فيفسر -مثلاً- كلمة (الصلاة) بتفسير لا تدل عليه، فليست العبرة أنه متلقى من مادة لغة العرب، إنما هذا بحسب الحكمة الباطنية، وبحسب الفكر الباطني الفلسفي يكون التفسير للقرآن، ويسمون ذلك: (الإشارات) أي: أن القرآن أشار إشارات باطنية لطرقهم، وذلك مثل مسألة خلع النعلين في قصة موسى عليه السلام، يقولون: ليس المقصود أنه فعلاً خلع نعليه، ولكن خلع النعلين يعني: التجرد من عالم المشاهدة إلى عالم الربوبية.." يوسف بن محمد علي الغفيص. شرح القواعد السبع من التدمرية (8/ 3، بترقيم الشاملة آليا)

وفي اشارتهم الكثير من الشطحات التي تمجها العقول الصحيحة والفطر السليمة والتي تجعلنا نبحث عن القاعدة التي تحكم هذه الإشارات فما نجد سوى أحكام أئمتهم النسبية كل حسب رأيه وهواه وليس حسب القواعد الشرعية ولا حتى العقلية المنطقية كما تقول المعتزلة.

على سبيل المثال لا الحصر: ((يفسر ابن عربي النبأ العظيم بعليّ رضي الله عنه)) انظر موسوعة الفرق الدرر السنية ص(7/421).بتصرف

(( ويقول ابن عربي هذا في تفسير قول الله عز وجل: الم: أشار بهذه الحروف إلى كل الوجود حيث هو كل، لأن (أ) إشارة إلى ذات الله الذي هو أول الوجود... و (ل) إلى العقل الفعال المسمى جبريل، وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ، ويفيض إلى المنتهي. و (م) إلى محمد الذي هو آخر الوجود تتمّ به دائرته، وتتصل بأولها...

يقول الدكتور أبو العلاء العفيفي عن ابن عربي محللاً أسلوبه التأويلي والتفسيري: (إنه يحول القرآن بمنهجه الخطير في التأويل إلى قرآن جديد. وينقل الشيخ رشيد رضا المصري، عن شيخه محمد عبده رأيه في تفسيره بقوله: (وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز"

((موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (7/ 426، بترقيم الشاملة آليا، بتصرف)))

ومن ثم فإن مثل هذه الرموز والإشارات ليست سوى أحكام نسبية تصرف المعنى الراجح إلى المرجوع بلا أي دليل ولا بينة سوى أنها منبعثة من عالم صوفي باطني ومن ثم فلا يمكن أن يعتمد عليها وإلا فإذا أطلقنا تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية لكل مُدَّعي للولاية والهداية دون تبيان دليل على تأويله؛ فلن تحكمنا قاعدة موحدة لفهم النصوص بل ستتضارب الآراء لاختلاف العقول وقد يتدخل الهوى، والمصلحة، لذا لم ينزل الله تعالى القرآن ليذره لأفهام البشر تأويلا وتعليلا بل نزله بلسان عربي مبين فقوله ظاهره ومعناه معلوم للعامة قبل الخاصة والمتشابهات فيه يفسره العلماء بالمحكمات.

"والمتأوِّل مطالَب بأمرين:**الأمر الأول:** أن يبيِّن احتمالَ اللفْظ للمعنى الذي حمَلَه عليه، وادَّعى أنه المراد.**الأمر الثاني:** أن يبيِّن الدليلَ الذي أوجب صرْفَ اللفْظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح، وإلا كان تأويلاً فاسدًا، أو تلاعبًا بالنصوص "الفرق بين التأويل والتفسير، دكتور هاني البشبيشي، مقالة بشبكة الألوكة:

 <http://www.alukah.net/sharia/0/52643/#ixzz36IfUrigt>

 كما أنهم إن قالوا مثلا أن تفسير النبأ العظيم الباطني هو عليّ رضي الله عنه، نقول لهم وكيف لنا أن نعرف أن هذا هو التأويل الصحيح وغيره من تأويلات باقي الأولياء خاطئ، وإن علمنا بصحته فعلا فمن الممكن أن يكون لهذا التأويل الباطن (أنه علي) باطن آخر بمعنى أعمق لم يطلع عليه هذا المؤول فيكون عليّ الذي في التأويل إشارة لباطن ثالث والثالث إشارة لباطن رابع وهلم جره فلن ننتهي اذا وسيضيع المعنى، خاصة انهم يزعمون بأن "للكتاب ظهر وبطن وحد ومطلع، إلى سبعة أبطن)) ". موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (7/ 242، بترقيم الشاملة آليا)، باختصار)

**وأما سبب التجاء المتصوفة إلى ما يسمى بعلم الباطن:**

لأن الصوفية لم يجدوا في القرآن والسنة ما يمكن أن يكون سندا لهم على منهجهم المخترع ومسلكهم الأعوج، فمنهج السلف لا يعرف الواسطة ولا الشركاء والخواص في العلاقة بين العبد وربه ولكن المذهب الباطني يصنف البشر لدرجات على معيارية غير عادلة تذكرنا بالفكر الثيوقراطي الكنسي في عصور الظلام الأوربية، فالحاكم على هذه الدرجات -من باطن وباطن الباطن الخ -هم فقط شيوخ الطريقة وخواصها فيؤسسون لفكرة الواسطة والولي المُزكّى للوصول إلى الله تعالى، والحصول على معرفته ورضوانه.

وكما قال نيكلسون:

"لا يمكن أن يكون القرآن أساسا لأي مذهب صوفي، ومع ذلك استطاع الصوفية متبعين في ذلك الشيعة أن يبرهنوا بطريقة التأويل نصوص الكتاب والسنة معنى باطنا لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات جدهم.".. موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (7/ 423، بترقيم الشاملة آليا)

**نقد الرواية:**

**أولا: الفكر الباطني في الرواية:**

والرواية في مجملها يستحوذ عليها الفكر الباطني وترى ذلك بجلاء في الكثير من نصوصها

ومثال ذلك نجد شمس التبريزي يرى: "إن كل قارئ للقرآن الكريم يفهمه بمستوى مختلف بحسب عمق فهمه وهناك أربعة مستويات من البصيرة: يتمثل المستوى الأول في المعنى الخارجي وهو المعنى الذي يقتنع به معظم الناس ثم يأتي المستوى الباطني وفي المستوى الثالث يأتي باطن الباطن أما المستوى الرابع فهو العمق ولا يمكن الإعراب عنه بالكلمات لذلك يتعذر وصفه... أما العلماء الذين يركزون على الشريعة فهم يعرفون المعنى الخارجي في حين يعرف الصوفيون المعنى الباطني أما الأولياء فهم الذين يعرفون باطن الباطن بينما لا يعرف المستوى الرابع إلا الأنبياء والأولياء الصالحون والمقربون من الله" – انظر الرواية-

وهذا كذب على الأنبياء لا دليل عليه لا من الشرع، بل وضّح لنا الله عز وجل وظيفة الأنبياء والمرسلين وأنها التبليغ وهداية الدلالة أما كونهم مقسمين مراتب باطنية فهذا من ضلالات المتصوفة والتي لا برهان عليها؟؟

ونص آخر في الرواية يقول القاضي "هل تقصد أن الصوفي العادي يفهم القرآن أكثر مما يفهمه عالم الشريعة؟ ارتسمت ابتسامة خفيفة تهكمية على فم الدرويش لكنه لم يحر جوابا

انتبه يا صديقي يوجد خط رفيع بين ما تقوله وبين الكفر المحض"

**ثانيا: الموقف من الشريعة: هدم الشريعة بحجة العلم الباطني:**

 وبما أن المعنى الباطني هو المغزى وهو الحقيقة فإن معاني الشريعة الظاهرة إلى زوال هذا ما تحاول إثباته الكاتبة جاهدة في محاولة الزعم بأن التمسك بأصول الشريعة ما هي سوى طقوس ظاهرية لا جدوى منها يمارسها عموم المسلمين الذين لم يرتووا بعد بالفيض الباطني والوجد الإلهي ومن ثم فهي تصطنع أو تفتعل خصوصية بأفضلية أهل الباطن على أهل الظاهر ومن ثم تصنع العنصرية التي تنقدها وتنفر منها في مواضع أخرى من الرواية.

فمثلا يقول شمس: "وبفضل الموسيقى والشعر والرقص اكتمل قدر كبير من تحول الرومي الذي كان عالما متشددا لا يحب الشعر وخطيبا يستمتع بسماع صوته وهو يلقي خطبته على الآخرين لكنه بدأ يتحول الآن إلى شاعر وبدأ يصبح صوت الفراغ الصافي لكني لا أظن أنه حقق ذلك تماما"الرواية-ص٤٠٠

**أ- المتعصب والأسلوب الاستنكاري:**

 وتستعرض الكاتبة رأي المتعصب في أسلوب وسياق منفر للغاية فالمتعصب يتحدث مستنكرًا أمور عدة ومن ثم فالنتيجة المنطقية التي يجب أن يصل إليها قارئ كلام المتعصب هي أنه خاطئ في فهمه وأن استنكاره غير صحيح ومما قاله مثلا: "يذهب الصوفيون شأوا بعيدا إلى حد أنهم يدّعون أن الشريعة مجرد مرحلة في الطريق وأنا أتساءل أي مرحلة عما يتكلمون؟... ويجادلون-الصوفيون- بأن الشخص المتنور لا يمكن أن تقيده قواعد المراحل الأولى

- وبما أنهم يدعون أنهم بلغوا مرتبة سامية فإنهم يتخذون ذلك ذريعة لتجاهل قواعد الشريعة وعدم الأخذ بها بجدية إذ يبدو أنهم يعتبرون الشراب والرقص الموسيقى والشعر والرسم أمورا أهم من الواجبات الدينية

ويقولون بما أنه لا توجد تراتبيّة في الإسلام فإنه يحق لكل إنسان البحث عن الله في الظاهر يبدو هذا الكلام جيدا لا ضرر منه ولا أذية لكن بعد التعمق في الأمر يتبين لك وجود جانب شرير في فحوى كلامهم وهو أنه لا حاجة للاستماع إلى الهيئة الدينية.

فالشريعة ومن ثم اتباع العبادات والاستماع للهيئة الدينية كل هذه تتبع مرحلة لم يتخطاه السني بعد وما بعدها من مراحل لا يفقهها العامة وهم الغير متصوفة تجسد الجهل والتشدد في آن واحد.

-ويعتبر الصوفية أن القرآن الكريم مليء **بالرموز الغامضة والتلميحات المتعددة** الطبقات وأنه يجب تفسير كل منها بطريقة صوفية باطنية لذلك فهم يدرسون كيف أن كل كلمة تتحول إلى عدد ويدرسون المعنى الخفي للأعداد ويبحثون عن الإشارات والمراجع الخفية في النص ويبذلون كل ما في وسعهم لتحاشي قراءة رسالة الله بسهولة ووضوح.

بل يدعي الصوفيين أن البشر هم قرآن الله الناطق نفسه فإذا لم يكن هذا الكلام كفرا مطلقا فأنا لا أعرف ما هو؟

وهناك الدراويش الجوالون وهم مجموعة مشوشة أخرى من الأشخاص غير الأسوياء الذين اختلطت عليهم الأمور.

القلندرية والحيدرية وأسماء عدة يعرفون بها وأنا -المتعصب- أقول أنهم أسوأ خلق الله فما هي الأمور المفيدة التي يمكن أن يجلبها رجل لا يمكنه الاستقرار في مكان واحد فإذا لم يكن لدي المرء إحساس بالانتماء فقد يطوف في جميع الاتجاهات مثل ورقة شجرة هشيم تذروها الرياح إنه الضحية المثالية للشيطان الرواية ص 222-224

**ب- الملامتية وهدم الشريعة:**

 كما تجسد الكاتبة فكر الملامتية\*

\* "الذين دفعهم الخوف من مدح الناس إلى الظهور فيهم بما يستجلب الملامة والذم، وذلك بمخالفة التكاليف الشرعية"

موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (7/ 424، بترقيم الشاملة آليا)، بتصرف.

 ففي الرواية يأمر شمس التبريزي تلميذه الرومي بالعديد من الأوامر المخالفة للشريعة الإسلامية ناهيك عن العرف السائغ فيأمر الرومي بأن يذهب لاحتساء الخمر لتشويه سمعته وكسر كبريائه؟!

 فيدخل الرومي حانة ويطلب كوبا من الخمر يحتسيه وسط استغراب جميع من في الحانة، يسأله سليمان السكران - أحد مرتادي الحانة- عن سر تواجده في حانة خمر فيجيبه أنه يمر بتجربة صوفية "لقد أرسلني شمس إلى هنا لتشويه سمعتي ".

وبهذا المنطق توهمنا الكاتبة بجواز هذا الفعل فالشريعة لا تهمها فهي لعوام الناس لا لخواص الخواص كما أن الجهر بالمعصية او كما تنقل عنه "تشويه سمعته" في سبيل طاعة معلمه لا يعد ذلك تسلطًا ولا انتهاك لحقوقه الفردية الخاصة وفي المقابل فان هدم شريعة الله تعالى في شربه للخمر لا مشاحة فيه وليس هذا تضييع حق الله تعالى ولا معصية لأمره... ويبدو أن الولي عند هؤلاء لم تفق مكانته مكانة النبي فحسب بل فاقت مكانته مكانة الله تعالى حين يطاع الولي من دون الله فيحل ما حرم الله!

 فالرومي يجيب على سؤال سليمان السكران: "لماذا حرمت الخمر؟"

قائلا: "إن الخمر ليست شرابا بريئا وانها تخرج أسوأ ما فينا وفي نهاية الأمر ليشرب من أراد وليمتنع من أراد عن الشراب من أراد فلا يحق لنا أن نفرض أساليبنا على الآخرين ولا إكراه في الدين" الرواية – ص351

واحتساء الخمر ليس سوى خرق للمبادئ، أما الحلال والحرام فقد استبدل لديها بمصطلح "القيود الدينية" التي لا يجب أن نؤمن ولا نلتزم بها فالرومي -بدافع من طاعة التبريزي فيما ينصحه- يمسك قنينة الخمر بيد مرتعشة حتى يشرب منها، ويقول: "إن المبادئ والقيود الدينية مهمة لكنها يجب ألا تتحول إلى محرمات بهذا الفهم أجرع الخمر الذي تعطيني إياها اليوم مؤمنا من كل قلبي بأنه توجد رجاحة عقل ورزانة بعد ثمالة الحب".

1. **الرقص ومحورية الإنسان:**

ولا تكتفي الكاتبة بذلك بل تتبنى فكرة جديدة فيما تدعيه بالكفر الحلو واستخدام الحب المحرم والسكر الإلهي والرقص كعبادات روحية!!

فبنفس المبدأ تبرر الكاتبة الرقص وتجعل حقيقة فساده أمرا نسبيًا وتجعل المعيارية الصحيحة هي الحكم البشري وليس الرباني على الأمور، فالبعض قد يرى الرقص أمرًا مشينًا سيئا والبعض قد يراه تعبدا وتنسكا!!

والقيم الجمالية تعتمد في حقيقتها وتعود على الشخص ذاته لا على الجمال كقيمة ثابتة في حد ذاته فكما يقول شمس: "الجمال في عين ناظره إذ سيرى الجميع الرقصة نفسها لكن كل شخص يراها بطريقة مختلفة إذا لما القلق؟ فالبعض سيحبها والبعض الآخر لن يحبها" الرواية ص386

 هكذا جميع الشرائع والقيم والمبادئ نسبية والثابت الوحيد لدى الكاتبة هو الإنسان نفسه محور الكون وما يحمله من الذوق والرمز والإشارة، وهي بهذا لا تختلف كثيرا عن الفكر النفعي الغربي وما يعتقده من أن اللذة الفردية والذوق الشخصي هو أساس السلوك والأخلاق, سوى في إضفائها بعض من الصبغة الدينية، تقول:

"مع مرور العمر يتعين على المرء مواصلة السير مع أنه لا توجد نقطة معينة يمكن بلوغها فالكون يتحرك يدور بثبات واستمرار وكذلك الأرض والقمر لكن ما يجعله يتحرك هو سر يكمن في داخلنا نحن البشر وبهذه المعرفة سنرقص نحن الدراويش بطريقتنا من خلال الحب والأسى حتى لو لم يفهم أحد ما نفعله سنرقص في خضم القلاقل أو في وسط الحروب سنرقص في جراحنا وأحزاننا ببهجة وانتشاء وحدنا ومعا ببطء وبسرعة مثل تدفق الماء سنرقص في دمنا." (الرواية ص490-491)

* **وبالإضافة إلى ذلك** نرى العديد من البدع العقدية في أقوالها مثل ادعاء الدراويش الراقصين بأنهم يستقبلون الحب من الله إلى البشر عبر رقصاتهم!!

تقول: "والرقصة التي أسموها "سماح" هي رقصة الدراويش يقول الرومي: "سيرقصها الدراويش في جميع الأزمان يد متجهة إلى السماء واليد الأخرى متجهة إلى الأسفل نحو الأرض فكل نقطة حب ننالها من الله نتعهد بتوزيعها على الناس جميعا" الرواية-ص389

ويقول شمس: "مستسلما ومسلما نفسه بين يدي الله بدأ الدرويش الأول يدور وبدأت حواشي ثوبه تحف برقة في حياة منفصلة بحد ذاتها ثم انضممنا جميعا إليه لم يبق شيء حولنا سوى الواحد وكنا ننقل كل ما نتلقاه من السماء إلى الأرض من الله إلى الناس وأصبح كل واحد منا حلقة تربط بين الحبيب والمحبوب وعندما توقفت الموسيقى انحنينا لقوى الكون الأساسية النار الريح والتراب والماء والعنصر الخامس الخواء"

**ثالثا: تسلل الفكر الإرجائي في القصة:**

ويتسلل الإرجاء على سطح الرواية فسليمان السكران يسأل شمس التبريزي عن الخمر في أشعار الصوفية هل هو حقيقي أم مجازي:

 فيرد شمس بأن الإيمان فقط بالنية وفي القلب والقول حتى لو خالف العمل ولو خالف الظاهر الباطن فالعبرة ببواطن الأمور لا ظواهرها ونتائجها

يقول له شمس: "ما أهمية ذلك يا صديقي؟ هناك قاعدة تفسر ذلك: عندما يدخل عاشق حقيقي لله إلى حانة فإنها تصبح غرفة صلاته، لكن عندما يدخل شارب الخمر إلى الغرفة نفسها فإنها تصبح خمارته. ففي كل شيء نفعله قلوبنا هي المهمة لا مظاهرنا الخارجية فالصوفيون لا يحكمون على الآخرين من مظهرهم أو من هم؛ وعندما يحدق صوفي في شخص ما فإنه يغمض عينيه ويفتح عينا ثالثة العين التي ترى العالم الخارجي" الرواية- ص٢٠٩

ولا شك أن هذا هو معتقد المرجئة في الإيمان حيث يقولون "لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله" وأهل السنة والجماعة وسلف الأمة على قول أن الإيمان بالقلب والقول والعمل جميعا ودليل ذلك: قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة:143 من الآية]

ومعنى الآية وما كان الله ليضيع صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الله تعالى الصلاة إيمانًا وهو عمل من أعمال الجوارح، كذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم «إماطة الأذى عن الطريق.» وهو آخر شعب الإيمان وهو من أعمال الجوارح.

**تضارب الآراء بين التسلط الديني والحرية الفكرية:**

ففي القاعدة الثانية والثلاثون تقول الكاتبة: "يجب ألا يحول شيء بين نفسك وبين الله لا أئمة ولا قساوسة ولا أحبار ولا أي وصي آخر على الزعامة الأخلاقية أو الدينية ولا السادة الروحيون ولا حتى ايمانك آمن بقيمك ومبادئك لكن لا تفرضها على الآخرين واذا كنت تحطم قلوب الآخرين فمهما كانت العقيدة الدينية التي تعتنقها فهي ليست عقيدة جيدة" الرواية-ص٣٥٦

وهذه قاعدة تجب ما قبلها من طاعة الرومي العمياء لشمس التبريزي باحتسائه الخمر بغرض تشويه سمعته أمام العامة، فاذا وجب علينا ألا يحول بيننا وبين الله الأئمة الأوصياء فكيف نطيعهم فيما حرَّم الله تعالى؟!

كذلك فإن الأولى ألا تحول العامة بيننا وبين الله لتلك الدرجة التي نحسب لكلامهم ألف حساب حتى أننا نضطر لتعريض سمعتنا للمذمة والتشويه لإرضائهم ونضطر لمعصية الله تعالى في أمور معلومة بالضرورة لأجلهم؟!!

لكن الكاتبة تقعد قواعد هجومية لا تأصيلية ولا قيمية لأنها تهاجم المذهب السني - الذي تبرزه في شخصية المتعصب زورا - والتمسك بالكتاب والسنة والإيمان العلمي الاعتقادي؛ لذلك لو لاحظنا ارتبطت جل القواعد بهجوم مستتر عليهم.

كتأكيدها في أكثر من موضع على هدم الشريعة التي برأيها أمور سطحية ظاهرية في مقابل فهم الباطن الخفي الذي لم تعطي أدلة دامغة على وجوده سوى سحر الكلمات وجذب الأحداث والمؤثرات الأدبية لا الأدلة العلمية وهذه هي شوكة الأدباء ومنتهى أسلحتهم باللعب على وتر العاطفة والأسلوب والقص والحكي ودمج الحق بالباطل أما الحديث بأسلوب منطقي متزن غير متضارب وبمنهجية علمية تقدم فيها معطيات وتخرج بنتائج ذات أدلة ولو حتى ادلة عقلية فلا.

 ولكن ما غرض الكاتبة من القاعدة الثانية؟ من المفترض غرضها التأكيد على الحرية الذاتية والملكية الخاصة والتي تتعارض مع الإذعان اللاعقلاني للوليّ الباطني كما تقدم في فقرات سابقة، كما تتعارض مع فلسفة الحلول والاتحاد كما سيتضح في الفقرات التالية.

**رابعا: الحلول والاتحاد:**

العديد من نصوص الرواية تشرح فلسفة الحلول والاتحاد ومن ذلك قولها أن وجود الله في كل شيء وأن عرش الرحمن في قلب كل عاشق وأن الله داخل كل شخص - حاشا لله -

يقول شمس: "تقول إحدى القواعد إنه يمكنك أن تدرس الله من خلال كل شيء وكل شخص في هذا الكون، لأن **وجود الله لا ينحصر في المسجد أو في الكنيسة**. لكنك إذا كنت لا تزال تريد أن تعرف أين يقع عرشه بالتحديد يوجد مكان واحد فقط تستطيع أن تبحث فيه عنه وهو قلب عاشق حقيقي فلم يعش أحد بعد رؤيته ولم يمت أحد بعد رؤيته فمن يجده يبقى معه إلى الأبد"الرواية-ص89

ويسأل سليمان السكران الرومي عن سبب احتساء الثاني للخمر

"سليمان: وهل هذا شيء جيد؟

الرومي: إن ذلك يتوقف على الطريقة التي تنظر فيها إلى الأمر ففي بعض الأحيان يجب ان تحطم كل ارتباطاتك حتى تفوز بنفسك فإذا كانت علاقتنا بعائلاتنا وثيقة ومكانتنا في المجتمع رفيعة حتى إذا كانت علاقتنا جيدة بمدرستنا المحلية أو مسجدنا وتقف عائقا في طريق اتحادنا مع الله فإنه يتعين علينا حينئذ أن نحطم هذه الارتباطات)) الرواية-ص ٣٤٨ و349

وفي ص 47 "ألا يقول الله {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} فالله لا يقبع بعيدا في السموات العالية بل يقبع في داخل كل منا لذلك فهو لا يتخلى عنا فكيف له أن يتخلى عن نفسه؟" الرواية-ص47

ويقول شمس لسليمان السكران: "ادهن جروحك بهذا المرهم لقد أعطاني إياه رجل طيب في بغداد لكنك تحتاج إليه أكثر مني إنك تعرف أن الجرح في داخلك أعمق وهو ما يجب أن تقلق منه إنه سيذكرك بأنك تحمل الله في داخلك"

وتنبثق من فلسفة وحدة الوجود قاعدة جديدة برأي الكاتبة وهي تطبيق عملي لمحبة الآخر لأنه ليس شيء مختلف عنك بل محبتك له ستعود عليك أما بغضك له فسيعود عليك أيضا لأنك أنت وهو لستما مختلفان وبهذه القاعدة تضييع قاعدة الحب في الله والبغض فيه ويضيع أصل الدين واوثق عرى الإيمان فما الكون إلا أنت وما أنت إلا هو والكون كله متجانس أجزائه ولا فرق بين مؤمن وكافر وعادل وظالم في هذه المنظومة المائعة!!

يقول شمس التبريزي للعاهرة التائبة في لحظة لفظها فيه المجتمع بأسْرة وانهالوا عليها ضربا حين اكتشفوا تواجدها بالمسجد. فيدور بينهما هذا الحديث

"صحراء الورد: أتظن أنهم سينصتون إليّ هؤلاء الرجال يكرهونني

شمس: سينصتون قال بتصميم "لأنه لا يوجد شيء يدعى "هم" كما لا يوجد شيء يدعى "أنا" وكل ما يجب عليك عمله هو أن تعرفي أن كل شيء وكل شخص مرتبط ببعضه بعضا في هذا الكون فلسنا مئات وآلافاً من الكائنات المختلفة بل إننا جميعا شيء واحد" الرواية-ص٢٠٠

وفي إحدى القواعد الأربعين: "إذا أراد المرء أن يغيّر الطريقة التي يعامله الناس فيجب أن يغير أولا الطريقة التي يعامل فيها نفسه وإذا لم يتعلم كيف يحب نفسه حبا كاملا صادقا فلا توجد وسيلة يمكنه فيها أن يحب لكنه عندما يبلغ تلك المرحلة سيشكر كل شوكة يلقيها عليه الآخرون فهذا يدل على أن الورود ستنهمر عليهم قريبا "الرواية- ص٢٠٠

وبغض النظر عن موقف المجتمع الخاطئ للعاهرة التائبة فإن المشكلة هي استغلال الكاتبة لمواقف وأحداث فردية بالقصة قد نتفق معها بها لكنا ندخرها لإثبات قواعد يسهل تطبيقها على مواقف منافية حتى للقيم والمبادئ فهذا الموقف أفرز عنه قاعدة طبقتها لاحقا على إيلا الأمريكية وعشيقها عزيز وبررت خيانتها الزوجية من هذ المنطلق "أن كل شيء وكل شخص مرتبط ببعضه بلا قيود...إلخ"

ومرة أخرى يبرز التناقض بيأ افكار الكاتبة شافاق وتتضارب أفكارها.. فعلى الرغم من تأكيد الكاتبة على هذه القاعدة في أكثر من موضع حينما كانت بحاجة إلى تقعيد العشق المحرم ونظرية السلام الأميع ووحدة الأديان الذي لا تتضح فيه معالم الولاء والبراء وتستسلم العقول والقلوب لتوحيد العالم والمجانسة بين الكفر والإيمان وبين الحق والباطل على ثابت واحد هو ثابت الاتحاد ووحدة الوجود

نراها في فقرات أخرى ترفع راية الحرية الفردية وتنقض مبدأها السابق في سبيل هدم قواعد الشريعة والتي يسميها الباطنية الأوامر الظاهرة

يقول شمس للعاهرة أيضا: "لا يحق لأحد أن – يضربك - فكل واحد يبحث في ذاته عن الله وهناك قاعدة في هذا الشأن لقد خلقنا جميعا على صورته ومع ذلك فإننا جميعا مخلوقات مختلفة ومميزة لا يوجد شخصان متشابهان ولا يخفق قلبان لهما الإيقاع ذاته ولو أراد الله أن نكون متشابهين لخلقنا متشابهين لذلك فإن عدم احترام الاختلافات وفرض أفكارك على الآخرين يعني عدم احترام النظام المقدس الذي أرساه الله" الرواية-ص207و208

فهنا ظهر النظام المقدس الذي أرساه الله...ومن الواضح في هذا المقطع من الرواية اعتراض شمس التبريزي على معاقبة الشرطة لسليمان السكران لاحتسائه الخمر ففي حالة تطبيق الشرع والنهي عن المنكر وإقامة الحدود تبرز الملكية الخاصة والذاتية وتسمى الشريعة بعدم احترام المخالف وفرض الفكر على الآخرين بل ان الحدود اصبحت أفكار وليست شرائع ربانية عند التبريزي --وأما في حالة العشق والسلام يتماهى الولاء والبراء في سبيل الاتحاد المزعوم فكلنا شيء واحد متحد ولا فرق.

**خامسا: الرواية ووحدة الأديان:**

 وتدعو الرواية لوحدة الأديان فالكاتبة لا تميز بين مسلم وكتابي بل الجميع سواسية في درجة المحبة ذلك أن المحبة التي جمعتهم ليست هي محبة الله الواحد الأحد ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي أولى درجات الإيمان بالله تعالى وهي أوثق عُرى الإيمان

يقول تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} [البقية: الآية 165]

ويقول تعالى: { لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}[المجادلة: من الآية22]

ويقول صلى الله عليه وسلم "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله".

بل إن المحبة عندها ترتبط بالوجود المطلق والإله الكلي الذي يصفونه بأوصاف ليست في كتاب الله ولا سنة نبيه ومعلوم أن صفات الله تبارك وتعالى توقيفية وإلههم هذا يرتبط به كل منهم على حسب ما يحلو له فالنصارى تقول الله ثالث ثلاثة واليهود تقول عزير بن الله ويد الله مغلولة....الخ

 وليست المشكلة لدى الكاتبة في صفة هذا الإله ولا في الإقرار بالوحدانية ولا الإيمان بالرسالة النبوية، فللجميع حق التنسك بما يراه وكيفما يراه كل على طريقته الخاصة.

 ونظرية وحدة الأديان قديمة قد قال بها ابن عربي وغير من غلاة المتصوفة أولئك الذي غلبوا النصارى في سب الله تعالى فإن كانت النصارى تؤمن بأن الإله قد حل في المسيح فحسب فهؤلاء الحلوليون يقولون بأن الإله يحل في كل انسان وقد قال عنهم ابن تيمية أنهم في هذا أشر من اليهود والنصارى.

**ومما ورد في الرواية:**

يقول شمس: "قبل أن ادخل اي مدينة لم أزرها من قبل كنت أتوقف قليلا لألقى تحية على الأولياء والقديسين الأحياء منهم والأموات المعروفين منهم والمخفيين. فكنت كلما أصل مكانا جديدا فإن أول شيء أفعله هو أن أتلقى بركة الأولياء الصالحين سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهودا، لأنني أومن بأن الأولياء الصالحين يترفعون عن هذه الفروق الاسمية التافهة وهم ينتمون إلى سائر البشرة." الرواية ص 145-147

 ويأتي السؤال لماذا وكيف وصل هؤلاء إلى ما يسمى بوحدة الأديان؟

والاجابة باختصار أنهم خلطوا ما بين أن الوجود يسع سائر المعتقدات وما بين صحة هذه المعتقدات فقالوا إن وجودها دليلا على صحتها وهذا أمر معلوم بطلانه عقلا فليس كل ما هو موجود يكون صحيحا.

بل الصحيح أنه إذا كان الوجود يسع لكل المعتقدات فإنه لا يسع لتحققها كلها بل إنه لا يسع الا لتحقق الحق منها كما يقول الإمام ابن تيمية:

"-أنهم- عطلوا الصانع والرسالة والحقائق كلها وجعلوا الحقائق بحسب ما يكشف للإنسان ولم يجعلوا للحقائق في أنفسها حقائق تتحقق به يكون ثابتا وبنقيضه منتفيا؛ بل هذا عندهم يفيده الإطلاق: ألا تقف مع معتقد بل تعتقد جميع ما اعتقده الناس فإن كانت أقوالا متناقضة فإن الوجود يسع هذا كله ووحدة الوجود تسع هذا كله. ومعلوم أن الوجود إنما يسع وجود هذه الاعتقادات لا يسع تحقق المعتقدات في أنفسها وهذا مما لا نزاع فيه بين العقلاء فإن الاعتقاد الباطل. والقول الكاذب: هو موجود داخل في الوجود لكن هذا لا يقتضي أن يكون حقا وصدقا فإن الحق والصدق إذا أطلق على الأقوال الخبرية لا يراد به مجرد وجودها؛ فإن هذا أمر معلوم بالحس وعلى هذا التقدير فكلها حق وصدق[[1]](#footnote-1)...

 وهؤلاء لا يميزون بين الحق والباطل بين الحق الموجود الذي ينبغي اعتقاده والباطل المعدوم الذي ينبغي نفيه في الخبر عنهما ولا بين الحق المقصود الذي ينبغي اعتماده والباطل الذي ينبغي اجتنابه بل يقصدون ما هووه وأمكنهم منهما. وأصدق الحق الموجود: ما أخبر الله بوجوده والخبر الحق المقصود ما أمر الله به؛ وإن شئت قلت أصدق خبر عن الحق الموجود خبر الله وخير أمر بالحق المقصود أمر الله والإيمان يجمع هذين الأصلين: تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر. وإذا قرن بينهما قيل: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات} والعمل خير من القول كما قال الحسن البصري: " ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي؛ ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ". مجموع الفتاوى (2/ 103-100) بتصرف.

**سادسا: السلام الداخلي:**

 وتدعيما لفكرة وحدة الأديان السالفة تخلط الكاتبة بين تعريف الإسلام وما يُسمى بالسلام الداخلي عند الفلاسفة وأهل الكتاب.

**تقول الكاتبة** في روايتها على لسان شمس التبريزي:

"كنت ألعب الشطرنج مع ناسك مسيحي يدعي فرنسيس تحت سماء زرقاء صافية لم يكن سريع الغضب بل كان رجل يعرف معنى الاستسلام ولما كان الإسلام يعني السلام الداخلي والكلمة مشتقة من كلمة الاستسلام فقد كان فرانسيس في رأيي مسلما أكثر من الكثيرين ممن يدعون الإسلام، إذ تقول إحدى القواعد الأربعين: لا يعني الاستسلام أن يكون المرء ضعيفا أو سلبيا ولا يؤدي إلى الإيمان بالقضاء والقدر أو الاستسلام بل على العكس تماما إذ تكمن القوة الحقيقية في الاستسلام - القوة المنبعثة من الداخل - فالذين يستسلمون للجوهر الإلهي في الحياة يعيشون بطمأنينة وسلام حتى عندما يتعرض العالم برمته إلى اضطراب تلو الاضطراب. "الرواية- ص420

ومصطلح "السلام الداخلي" وان كان يتشابه لفظا مع مصطلح "الإسلام" فإن معناه يختلف تماما.

فهو مصطلح منتشر بين ممارسي اليوجا والطاقة الروحية فيما يعرف بتحقيق الأمن والسكينة الداخلية واستجلاب الطاقة الإيجابية الوهمية التي يتحدث عنها مروجو علم الطاقة الروحية، كما تمتد أصول هذا المفهوم للديانة الهندوسية والبوذية وتحدث عنه أيضا وعاظ النصارى حديثا في حبهم للمسيح.

أما كون هذا المفهوم هو نفسه في الإسلام فهذا ليس صحيحا ولم يتحدث عنه أحد من السلف، فالإسلام يعني الاستسلام والانقياد التام لله سبحانه وتعالى ولأوامره الشرعية الدينية وليس الاستسلام لشيء آخر!!

وهذا الاستسلام وحده هو الذي يؤدي للسكينة والطمأنينة الحقيقية لأن الاستسلام لأوامر الله تعالى فيها الهداية والرشاد والأمن، يقول تعالى{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[آل عمران: الآية 85]

وقال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[الأنعام: 82].

وقد بين لنا الله في كتابه العزيز الفرق بين الإسلام وغيره من الملل، فقال تعالى{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}[آل عمران: الآيات 19-20]

يقول ابن باز رحمه الله: "هذا وقد وصف الله سبحانه وتعالى اليهود والنصارى بالكفر لما قالوه عن الله، وبما حرفوه وغيروه في كتبهم، وتجاوزهم الحد في القول والعمل تبعاً لما تصف ألسنتهم، وتستهوي نفوسهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، وقال تعالى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وقال تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ \* اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

والآيات الكريمات في هذا المعنى كثيرة، مما يعلم معه بأن الديانة اليهودية والديانة النصرانية قد نسختا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن ما فيهما من حق أثبته الإسلام، وما فيهما من باطل هو مما حرفه القوم وبدلوه حسب أهوائهم؛ ليشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

فدين الإسلام هو الدين الصحيح المطلوب من أهل الأرض، وهو الدين الذي بشر به جميع الأنبياء.

روى النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: ((أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيا واتبعتموه وتركتموني ضللتم))، وفي رواية: ((لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي، فقال عمر: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً)).

وكما أن عيسى عليه السلام جاء مجدداً لديانة موسى وليحل لهم بعض ما حرم عليهم، كما في قوله تعالى: {وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ \* إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.}

... إلى أن قال رحمه الله: "ودين الإسلام هو الطريق المستقيم الموصل إلى الله، كما ورد في تفسير سورة الفاتحة، فإن العبد يدعو ربه بأن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يبعده عن طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين عصوا الله عن علم ومعرفة، وطريق الضالين وهم النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال.

ومما ذكرناه يتضح أن الطريق إلى الله واحد وهو دين الإسلام، وهو الذي بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم كما بعث جميع الرسل، وإن جميع ما خالفه من يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو وثنية أو غير ذلك من نحل الكفر كله باطل، وليس طريقاً إلى الله، ولا يوصل إلى جنته، وإنما يوصل إلى غضبه وعذابه، كما قال تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار)) رواه الإمام مسلم في صحيحه. " أ.هـ فتاوى بن باز نص الفتوى من هنا http://www.binbaz.org.sa/mat/8527#\_ftn2

 **سابعا: وصف الله تعالى بما ليس صفته:**

من المعلوم أن صفات الله تعالى توقيفية لا تثبت إلا بنص شرعي ودليل من الكتاب والسنة.

 ومعنى توقيفية أي: (يتوقف على ما ورد في الكتاب والسنة ولا مجال للعقل فيها إلا تأييد ما دل عليه السمع من الصفات، فلا نثبت لله من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته.) محمد بن عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية، ص347

إلا أن الرواية مليئة بالكثير من الصفات والأفعال التي تنسبها الكاتبة لله تعالى ولم تنص عليها النصوص الشرعية؛ مما أوقعها في الإلحاد في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى وذلك حين تنسب له عز وجل ما لا يليق بكماله وجلاله وعظمته وجماله.

1. **فتصف الله تعالى أنه يظل مخفيًا**

يقول الرومي "لقد خلق الله المعاناة حتى تظهر السعادة من خلال نقيضها فالأشياء تظهر من خلال أضدادها وبما أنه لا يوجد نقيض لله فإنه يظل مخفيا" الرواية- ص١٧٨

 ومعلوم أن ما ورد في الكتاب والسنة أن الله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: الآية3].

1. وصف الله بالحلول في الأشخاص -حاشا في الله-

في قوله شمس التبريزي لحسن الشحاذ بعد أن قدم له مرآة: "احتفظ بها لقد قدمها لي رجل طيب في بغداد لكنك تحتاجها أكثر مما احتاجها أنا إنها ستذكرك بأنك تحمل الله في داخلك" الرواية- ص181

 **وصف الله تعالى بالعجز وأنه ليس سوى انطباع وشعور المرء له.**

يقول صاحب الحانة:

"إن كان الله هنا فهو لا يحرك ساكنا ونحن نعاني من أسوأ النهايات فماذا يعني ذلك؟"

فقلت: "إنها القاعدة الأولى يا أخي:إن الطريقة التي نرى فيها الله ما هي إلا انعكاس للطريقة التي نرى فيها أنفسنا فإذا لم يكن الله يجلب إلى عقولنا سوى الخوف والملامة فهذا يعني أن قدرا كبيرا من الخوف والملامة يتدفق في نفوسنا أما إذا رأينا الله مفعما بالمحبة والرحمة فإننا نكون كذلك" الرواية- ص48

 وهذا من وصف الله بما لم يصف به نفسه وبما لا يليق بكماله وجلاله، وكأنه تعالى ليس سوى انطباع أو شعور كامن في ذوات البشر فصفاته تنبع من تصرفاتنا الداخلية وهو موجود ومتصف فقط بقدر وجوده الذهني الداخلي في كل شخص ليس إلا.

وهذا الكلام لا يجوز في حق الله جل جلاله لأنه تعالى متفرد بصفات الكمال والجلال والجمال وأفعاله سبحانه وتعالى كلها حكمة، وليس الكمال رد فعل لنا أو انعكاس لله تعالى بل الله رحمته وسعت كل شيء وسبقت غضبه وليست رؤيتنا نحن هي التي تحدد صفاته وأفعاله.

1. **ادعاؤه جواز تكليم الله:**

يقول شمس " ومنذ طفولتي كنت أرى رؤى وأسمع أصواتا وكنت أكلم الله وكان يرد عليّ على الدوام وفي بعض الأيام كنت أصعد إلى السماء السابعة بخفة شديدة ثم أهبط في أعمق حفرة في الأرض تفوح منها رائحة التراب" الرواية- ص٥٨

وقد أجمع العلماء على أن تكليم الله تعالى للبشر في الدنيا لم يرد إلا في حق الأنبياء والمرسلين يقول تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}

يقول ابن كثير في تفسير الآية "هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله، عز وجل"

ويقول عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير الآية: "تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء والمرسلين، وصفوته من العالمين، وأنه يكون على أحد هذه الأوجه.

إما أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ وَحْيًا بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها.

{أَوْ} يكلمه منه شفاها، لكن {مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن.

{أَوْ} يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فـ { يُرْسِلَ رَسُولًا} كجبريل أو غيره من الملائكة.{فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ} أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه، { إِنَّهُ } تعالى علي الذات، علي الأوصاف، عظيمها، علي الأفعال، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات. حكيم في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات والشرائع.

أمّا مقصد الباطنية المتصوفة هو عدم تفضيل الأنبياء في مسألة التكليم رغم أنها خاصة لا تكون إلا للرسل وتكليم الله لموسى هو في المقام الأول قبل ارسال الوحي بواسطة كما هو معلوم عند أهل السنة، يقول ابن تيمية رحمه الله: "هؤلاء يزعمون أن تكليم الله لموسى فيض فاض عليه، ومنهم من يقول أنه كلم أفضل مما كلم موسى وكان في زماننا من يقول هذا ويقول أن موسى كلم من وراء حجاب الحرف والصوت وهو يكلم دون ذلك الحجاب ومقصوده أنه سمع في نفسه حروفا وأصواتا وهي التي سمعها

فإنه ليس عند هؤلاء أنه سمع شيئا خارجا عن ما في نفسه وتلك الحروف والأصوات الخيالية هي التي تبين له المعاني العقلية قالوا ونحن خوطبنا بتلك الحقائق العقلية من غير احتياج إلى هذه الواسطة. "ابن تيمية، الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط2 (مكتبة ابن تيمية-مصر) (1/ 251,250)

"ثم صاحب الفصوص – أي ابن عربي - وأمثاله بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، والنبي يأخذ بواسطة الملك، فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة، وهذا باطل وكذب، فإن الولي لا يأخذ عن الله إلا بواسطة الرسول إليه، وإذا كان محدثاً قد ألقي إليه شيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول من الكتاب والسنة...

-وفي دعوتهم- أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من بعض الوجوه:

وأعظم من ذلك زعمه أن الأولياء والرسل من حيث ولا يتهم تابعون لخاتم الأولياء وأخذوا من مشكاته، فهذا باطل بالعقل والدين، فإن المتقدم لا يأخذ من المتأخر، والرسل لا يأخذون من غيرهم. وأعظم من ذلك أنه جعلهم تابعين له في العلم بالله الذي هو أشرف علومهم، وأظهر من ذلك أن جعل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود القائلين بأن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق. "ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل - رشيد رضا (4/ 66-64) بتصرف

 **وصف الله بأنه أفضل حكواتي -حاشا لله:**

يقول شمس لعلاء الدين بن جلال الدين الرومي: "إن الرجل الذي لا وقت له لسماع القصص لا وقت لديه من أجل الله ألا تعرف ان الله أفضل حكواتي؟" الرواية-ص396

1. **الحديث عن الله جل جلاله بسوء أدب** وبطريقة التشبيه والندية ووصفه بصفات سلبية وأنه يحتاج للتنظيف والغسل – تعالى الله عما يقولون - حتى أن الراعي يعرض على الله تعالى أن يفليه من القمل.

ففي قصة الراعي الذي يدعو الله ويناجيه بما لا يليق بكماله وجلاله وهذا لا يجوز شرعا ولا ينطوي فطرة ولا عقلا فإن كل عاقل لا يحدث الله تعالى مهما بلغ جهله عنه بهذا الأسلوب المغرق في سوء الأدب والتشبيه والتمثيل والندية بل أن معرفة الكمال الإلهي فطرة جُبل عليها البشر ومعلومة لا يختلف عليها إلا الملاحدة والمشبهة.

والقصة لا تقاس أبدا على الراعي الذي فقد غنمه فأخطأ من شدة الفرح في الحديث النبوي، فالراعي الذي في الرواية يتحدث حديثا مطولا لإله مشخصن يفتقر إلى التنظيف ولذة المأكل والمشرب مسلوب الإرادة وليس الحديث عن مجرد خطأ لفظي عارض وقع فيه راع بسيط من لم يتدارك عقله للحظات عابرة.

وأسلوب الكاتبة في حديث الراعي يذكرنا بأقاصيص اليهود في الكتاب المحرف ووصف الله تعالى بما لا يليق به على سبيل التمثيل والتشبيه والندية بما لا يجعل فارق بين الإله والعبد حتى أن العبد يتغلب على إلهه ويفقأ عينه ويوبخه...الخ

**ودعونا نستعرض كلام الراعي** في الرواية والذي يغني عن كل نقد، يقول الراعي: "يا إلهي إني أحبك أكثر مما قد تعرف سأفعل أي شيء من أجلك فقط قل لي ماذا تريد حتى لو طلبت مني أن أذبح من أجلك أسمن خروف في قطيعي فلن أتردد في عمل ذلك أشويه وأضع دهن إليته في الرز ليصبح لذيذ الطعم...ثم سأغسل قدميك وأنظفك وأفليك من القمل هذا هو مقدار محبتي لك".

 وبهذه الحجة تبرر الكاتبة لقاعدتها وهي أن لكل واحد طريقته التي يتواصل بها مع ربه تقول الكاتبة على لسان شمس التبريزي: " فكما ترى لا تحكم على الطريقة التي يتواصل بها الناس مع الله فلكل امرئ طريقته وصلاته الخاصة إن الله لا يأخذنا بكلمتنا بل ينظر في أعماق قلوبنا وليست المناسك أو الطقوس هي التي تجعلنا مؤمنين بل إن كانت قلوبنا صافية أم لا" الرواية- ص79

وتعويلا على الباطنية يؤصل شمس لقاعدة اخرى من قواعده وهي: "تنبع مشاكل العالم من أخطاء لغوية ومن سوء فهم بسيط لا تأخذ الكلمات بمعناها الظاهري مطلقًا وعندما تلج دائرة الحب تكون اللغة التي نعرفها قد عفى عليها الزمن فالشيء الذي لا يمكن التعبير عنه بكلمات لا يمكن إدراكه إلا بالصمت" ص101

 **ثامنا: الغزل والحب في الرواية:**

والحب الصوفي كما تنقله الرواية هو حب: "كُلِّي مطلق"، غير معين بمعنى أن الجميع يمكن أن يحبون الجميع بلا قيود تلتزم بالحلال والحرام ولا حتى بمبادئ وقيم يخطها المجتمع والعرف –كما تقدم-؛ بل الحب المطلق يمكن أن يوهب لأي شخص بلا حدود ولا استئذان لأن ذاتك في كل شخص وكل شخص هو أنت ولا فرق بينك وبين ذوات الآخرين وكلنا شيء واحد.

وليس هذا سوى درب من الهرطقة وبعدا عن العقلانية والمنطقية وإسرافا في الوهم الصوفي الذي لا يمكن أن يقام عليه خلق ناهيكم عن دين.

وقد جسدت الكاتبة هذا المعنى في أكثر من شخصية في الرواية منها العلاقة ما بين "إيلا" و"عزيز" وكذلك شرح "الرومي" كنه الحب "للعاهرة التائبة" والمحبة النادرة ما بين "شمس" و"الرومي" فإيلا تستغل وصايا الصوفيين القدامى في الرواية لتطبيق العشق كما يحلو لها فتهيم وعزيز عشقًا تحت غطاء العشق الإلهي العفيف الذي لا يفرق بين شخص وآخر فتخرج لمقابلته والخلوة به...الخ

ومن الملاحظ أن قواعد العشق هذه لا تخترق الشريعة الإسلامية فحسب بل أيضا تخترق حدود الأخلاق والقيم والمبادئ المتعارف عليها حتى في المجتمعات الغربية تلك التي تكون قاعدة مبدأية يمكن أن تقام عليها دعائم أسرة سوية.

ولا شك أن ديفيد -زوج إيلا- كان خطأه لا يغتفر في خيانته لزوجته لكن مقابلة الخيانة بمثلها أو حتى بنصفها لا يبرره عقل ناهيكم عن صبغتها بصبغة دينية تبريرا لفعلتها الخاطئة

كما أن الرواية تتحول في نهايتها من الغزل العفيف إلى كلمات فاضحة من الوصف الصريح والذي أجد فيه من الجرأة حد الوقاحة فهذه المادة مقدمة على أساس من النصح والإرشاد الديني حول الحب الإلهي لكنها انحدرت لمستوى متدني من وصف جنسي صريح ما بين إيلا وعزيز وأيضا التصريح بتفاصيل بين شمس وزوجته كيميا لا أصفها إلا كما يقال +18

وأخيرا أعلم أنني لم آتي على نقد الرواية بالكامل إلا أن التعليق الإجمالي للرواية يصرح بالكثير من المعتقدات الباطنية الكفرية التي لا ينبغي التغاضي عنها ويبقى الأدب في مقامه ومكانته ومثاليته وخياله أدبا ما لم يمس العقيدة وإلا فهنا نقول له لا خيال ولا مثالية ولا عاطفة ولا شاعرية ولا أدبا بل هو فجرا وكفرا والله المستعان وعليه التكلان.

1. [تعليق معد الكتاب للشاملة] [ولا ريب أن الحق نوعان: حق موجود وبه يتعلق الخبر الصادق وحق مقصود: وبه يتعلق الأمر الحكيم والعمل الصالح

وضد الحق: الباطل ومن الباطل الثاني قول النبي صلى الله عليه وسلم {كل لهو يلهو الرجل به فهو باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فإنهن من الحق} والحق الموجود إذا أخبر عنه بخلافه كان كذبا] [↑](#footnote-ref-1)